

أيها الأحزاب.. هذه واجبات علينا قبل غيرنا



السبت 12 يونيو 2010 04:03 م
كتب: بقلم: الشيخ محمد عبد الله الخطيب

أيها الإخوان المسلمون..

قد تحمّلتم كثيرًا في الماضي، وصبرتم على الحقد الأسود بأنيتكم من هنا وهناك، وعلى الأكاذيب والأباطيل التي تُحاك ضدكم.

إنكم لم تذبوا ذنبًا، ولم ترتكبوا جرمًا؛ حتى تُساقوا في مصر وفي غير مصر إلى السجون والمعتقلات، وتنهال عليكم الضربات والطعنات **«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَىٰ نَحْتَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)»** (الأحزاب).

يقول الشاعر:

سل السياط السود كم شربت دماءً حتى غدت حمراء بلا تلوين

ولجأتُم إلى الله لجوء الصادق الأمين صاحب الدعوة، وتعلقتم ببابه وطرفتموه، ورفعتم أكفَ الصراعة إلى الله أن يرفع عنكم هذه الغم، ولم تنسوا أبدًا في مراحل الشدة ومراحل القسوة...، وما زلت الآن أراجع وأقرأ وأسأل، من هم أقدر مني على الإجابة؟

ما الذي فعله الإخوان مع عبد الناصر؟ هل طلبوا حكمًا؟! أبدًا والله، هل نافسوا أحدًا في دنيا، حتى تنزل بهم هذه الأهوال التي تعلمونها جميعًا، بل وعشتموها وذقتم طعمها المر، وسالت الدماء بلا سبب وصعدت الأرواح إلى بارئها تشكو ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، تشكو قوانين الغاب والناج، صعدت إلى بارئها، والشهداء فوق المقصلة يقولون كلامًا عجيبًا؛ فالشيخ الشهيد محمد فرغلي يترك في وصيته: يا إبراهيم! (ينادي ابنه): إن أباك أقل من أن يموت في سبيل الله.

بالشهاد الحبيب العظيم يوسف طلعت يقول وهو على المقصلة آخر كلمة نطق بها: اللهم سامحني وسامح من ظلموني.

هي التي قالها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: **"لا يا أخى يا جبريل إنني لم أبعث نعمة، ولكني بُعنت رحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"**.

فلماذا إذا يُعلق على المشائق، ويدفن في نل المقطم، من لم يعتدوا على أحد، ولم يطمعوا في ملك أحد؛ لأنه أتفه من أن يطمع فيه مؤمن، بل ساعدوك يا عبد الناصر، وأزروك وعاونوك وسددوك ونصحوك بعدم الغلظة على هذا الشعب المسكين، وأطعموك من طعامهم، ونمت في بيوتهم، وأقسمت لهم على المصحف: عند النصر لتحكمن بالقرآن، وتعملن لتطهير البلد من المعوقات والمعاصي والذنوب، حتى تستطيع أن توجد الرجولة التي تقف على أقدامها وتجاهد في سبيل أمته، ثم رفضت ذلك من أول يوم وبدأت المعركة، وطالما سمعت أن الإمام العظيم حسن الهضبي يقول: أيها الإخوان.. أقيموا دولة الإسلام في صدوركم؛ نعم

على أرضكم، وهي كلمات قليلة لكن من يتأملها يجد أنها عظيمة عميقة، تصدر من رجل مجرب عظيم.

كل ما ذكرت معروف، وأصبح جزءًا من التاريخ؛ إذا علمه الناس فهو خير لهم، وإن لم يعلموه فالله عز وجل يعلمه وأثبتته عنده سبحانه في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

ولكن أحب أن أقول لكم مذكّرًا ومعرفًا ومبيّنًا: تميزوا في اجتهادكم ومنابراتكم على الطاعات والقربات، وعلى حب الله ورسوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 165).

لا تجروا وراء الدنيا؛ لأن الله يقول: ﴿فَإِذَا فُجِيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: من الآية 10).

وعند الجنة يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران)، فلا تختلط الأمور ونسارع إلى الدنيا وننسى الآخرة، فالإمام البنا عليه الرضوان يوم أن استشهد وجد في جيبه جنيه و10 قروش ومسبحة.

من تعلّق بالآخرة ووضعتها في مقدمة حياته عوضه الله عن الدنيا التي لا ترن عند الله جناح بعوضة، ولو كانت ترن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء.

احرصوا على أن تكون الموازين معتدلة، وإلا اختلت الأمور في أيدينا، وبعدها عند دعوتنا، كان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه تاجر حريز في بغداد، ورزقه الله بتاجر متفرغ لهذا الأمر، فقال له: نعمل كشريكين أقوم أنا بالعمل، وأنت تتفرغ لمهمتك الكبرى؛ لدعوة الله ونشر العلم وتربية الشباب، وفي آخر العام نقسم الأرباح بيني وبينك.

فوافق الإمام وهو مسرور، وكان يأخذ نصيبه من الأرباح لا ليرفع بها رصيده الدنيوي، ولا يكثر بها القليل؛ بل يأخذها بكاملها ويذهب إلى المسجد ويجمع أبناءه وتلاميذه الذين يربهم، فيقول لهم: خذوا هذا الرزق الذي أفاض الله به علينا، فعيشوا به ولا تحمدوني؛ بل احمداوا الله عز وجل الذي أعطانا هذا الرزق- رضي الله عنه-، وكان الإمام البنا الشهيد العظيم يخرج من المركز العام في آخر النهار وهو ذاهب إلى بيته، وعند محطة الترام لا يجد ثمن التذكرة، فيعود إلى المركز مرة أخرى فيطرق الباب فيفتح له أحد تلاميذه فيقول له: عندك سلعة 5 قروش؟ فيقول: لا، فيقول: أسأل من بالداخل لعلك تجد، فيجد له 5 قروش!! رائد التجديد في القرن العشرين، وبعث النهضة الإسلامية، وإمام الصحة العالمية، ليس في جيبه ثمن تذكرة الترام، وكانت لا تزيد عن قرش صاع!!!.

انظروا إلى التجرد أيها الإخوان وإلى السمو فوق الدنيا، وأصحاب الدعوات لهم سماتهم، لا يكون على الدنيا ولا يحرصون عليها، بل آمالهم وأحلامهم في الآخرة، فإذا أحسوا بأنهم أرضوا ربهم فقد رضي الله عنهم، وإذا أحسوا بغيرها يكون الألم والبكاء والسهر.

أيها الإخوان هذه حقائق أضوأ من الشمس، فأمنوا بها واعملوا لها، ودعكم من عبادة الدينار والدرهم، فهؤلاء تعساء الدنيا والآخرة، ففي الحديث: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بما يجري وراء الدنيا ويعطيها أكثر من حقها إلا عبد ذليل النفس، وقديمًا قال الشاعر بيكي حاله:

إني بُليت بأربع ما سلطوا إلا لشدة شغوتي وبلاني

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

بها الأحباب.. أنتم وغيركم، وهم كثيرون على طريق الدعوة، لا نعلمهم لكن الله يعلمهم وهو يعينهم ويعطيهم أجرهم.

وما الأحداث التي حدثت لفلسطين الغالية، إذ تأتي السفن في البحر محملة بالزاد ومحملة بالمساعدات لمن أقفل الصهاينة في وجوههم كل منفذ، فيأتي هؤلاء الأحرار لمساعدتهم وأحد الأحرار الأتراك حين جاءته الرصاصة وهو فوق السفينة أشار بأصبعه التي تقول: إنني مت على التوحيد، مت على الشهادتين، مت على لا إله إلا الله.

تركيا التي فعل بها الغرب والشرق الأفاعيل وأنزلوا بها الويلات، والملعون الخبيث كمال أتاتورك قتل من قتل وسجن من سجن ودُمّر ما دُمّر، لكن الإسلام أعمق والإيمان أكبر من ملء الأرض من هذا الشيطان وشياطين الأرض كلها.

لكن إرادة الله أعظم وهيمته على هذا الكون لا حد لها ولا شريك له.

تحركت تركيا لتؤكد قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ نُؤْيِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُوكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٦) نُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَنُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمِنَ الْمَيِّتِ وَنُؤَرِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾ (آل عمران).

نا هي تركيا الآن أثبتت مرة أخرى استمساكها بالإسلام، ولو دَهَبَتْ إليها لرأيت رأي العين كيف أن المساجد لا مكان فيها لقدم.

أطهار أبرار أقوياء أعزاء صنعهم الإسلام، وما زال يصنعهم، وعاشت أوروبا 5 قرون ترتعش رعبًا من تركيا، وجاء منذ 50 سنة عدنان مندريس الرجل الذي أشعل الشرارة وفتح المساجد، وحوّل الأذان إلى اللغة العربية، وكان رئيسًا للوزراء، فتمكنوا منه وأدخلوه في محاكمة وهمية وحكموا عليه بالإعدام، وظل معلقًا في المشنقة 3 أيام؛ لكنهم لم يُرعبوا ولم يخافوا، وجاءوا من بعده فبنوا له في شرق إسطنبول مقبرة، وعندما نقلوه إليها وجاء به القطار المزين بالورود، كان الشعب التركي المسلم أسبق إلى استقباله ووقف الجميع لا يُعذّون ولا يُحصون، يقولون بصوت واحد قوي (هبي ربح الجنة.. هبي) فكان يوم دمعت فيه القلوب، وبكت فيه العيون، وهم يودّعون جنمان الرجل الذي قدّم حياته فداءً للقرآن ولأمة القرآن ولفتح المساجد، ولرفع الأذان باللغة العربية رحمه الله.

أيها الإخوان..

أوصيكم بأن تسارعوا دائمًا إلى المساجد في جميع الصلوات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾ (النساء: من الآية 103) أوصيكم بأن تطيلوا في الدعاء وتكثروا منه ونحن على أبواب رمضان، فهيئوا أنفسكم من الآن لشهر النصر لشهر المجاهدة لشهر الفتوحات، وتأملوا أهل بدر، تأملوهم جيدًا، وتأملوا عدتهم البسيطة وعددهم القليل، ومع ذلك أحرزوا النصر العظيم الذي فتح الطريق للإسلام، بل لدينا كلها، وأذل قريبًا وأذل الطغيان، ووقف صلى الله عليه وسلم على قبور الذين عاندوه وأذوه، وضيّقوا عليه، يناديهم يا أبا جهل يا عتية يا شيبه.. يا فلان.. يا فلان.. هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا.. فأني وجدت ما وعدني ربي حقًا.. فقال عمر: يا رسول الله! أتناديهم وقد جيفوا؟! قال: يا عمر! ما أنت بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون."

أيها الإخوان..

إن سلاح الماديات الذي يهتم به جميع الماديين ويكدسونه، ويعتقدون أنه وسيلة النصر، هو عندنا عملة زائفة يجب أن تُصحح بالإيمان، ولا قيمة لها بغير الإيمان، تصحح بالرجل الذي يحملها ويقف على قدميه ثابتًا عابدًا مرابطًا في سبيل الله عز وجل.

أيها الإخوان الأحياء..

أوصيكم وأوصي نفسي وأوصي كل عاقل يبغى الحق ويريد نصرته أن يبدأ دائمًا بنفسه، ثم بمن يعول، ويعطي أهل بيته نصيبهم من الرعاية والعناية والتربية على حب الحق وعلى عشق الإيمان وعلى التوحيد الخالص لله عز وجل، ويعدل بينهم، وتكون الزوجة أيضًا خير معين في هذا الأمر، وهذا يأخذ جزءًا كبيرًا من وقته؛ لأنه يصنع قاعدة للإسلام بتربية الأولاد والاهتمام بهم، لا يتركهم نهبًا للشارع، ويقرر في حزم وعزم أن جميع الأولاد خاصة طلاب المدارس وطالباتها ونحن في استقبال الإجازة، ينامون مبكرًا ويستيقظون مبكرًا ولا يسهرن، أما الوقوف في الشارع كالآخرين والتفاهات التي تقع من سهر الليل ونوم النهار، فهذه جريمة في الإسلام.. جريمة في الإسلام.. جريمة في الإسلام.

يجب أن نبرأ منها وأن تصبروا ونصبر في تغييرها إن وجدت، ويجب أن نكون جادين ونحن في طريقنا إلى الجنة، والله يرانا ويحاسبنا على التقصير، ثم بعد ذلك أرجوا اجتناب المشاكل والخلافات من أجل الدنيا.. هذا حرام وضلال.

ثم بعد ذلك أرجو أن يعامل كل زوج زوجته أفضل وأحسن معاملة، حتى ولو لم تكن أهلاً لهذا، فهو أهل لهذا إن شاء الله، وإذا لم يكن هناك خير مع الأهل، فأى خير بعد ذلك.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله، والمسافة بين الدنيا والآخرة؛ نفس يدخل فلا يخرج أو يخرج فلا يدخل، فالعاقل من يضع هذا في حسابه، وأن يؤمن إيماناً صادقاً جازماً بكل حرف في كتاب الله، ويضعه فوق رأسه، وأن يؤمن إيماناً صادقاً جازماً بكل حديث صحيح نطق به سيد الخلق ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (21) ﴿الأحزاب﴾، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۖ وَأَقِصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) ﴿عافر﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* من علماء الأزهر الشريف.

<https://www.ikhwanonline.com/article/66381>